



الظروف الصعبة اختبار شاق يمر بالمرء ، تظهر فيه صفاته الحقيقية ، وخفاءه الدفين ، كما تظهر فيه قدراته الكامنة وإمكاناته المخبأة، والمرء في مواجهة الظروف الصعبة يحتاج قلباً مطمئناً ، وعقلاً ناضجاً ، ونفساً هادئة سوية .

ويختلف الناس أمام ظروفهم الصعبة بحسب قلوبهم هل هي قريبة من الله سبحانه أو بعيدة ، وعقولهم ، هل هي ناضجة أو هامشية ، ونفوسهم هل هي هادئة سوية أم أنها نافرة مضطربة !

فالمرء الذي يعود إلى ربه في أزماته ويتوكّل عليه سبحانه في حلها ، ويرجوه ويلح في دعائه أن يفرجها عنه واثقاً في ذلك وموثقاً به ومسكيناً أمره له سبحانه فهو الأقدر أن تحل مشكلاته وينجو من أزماته .

والذي يلتفت إلى الماديات بعيداً عن ربه سبحانه ، ويظن أن الحياة المادية تكفيه في حل مشكلاته ومواجهة ظروفه الصعبة فهو مغدور ما يلبث أن يفع في نفسه وفي دنياه ، قال سبحانه : "مَنْ كَانَ يَظْنُنَ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلَيَمْدُدْ بِسَبَبِ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلَيَنْتُرْ هَلْ يُذْهِنَ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ، ،"

إن القلب المطمئن الذي تملئه السكينة الإيمانية يتلقى الأزمات بثبات وهدوء ، فهو يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، فهو راضٌ بقضاء ربـه سبحانه ، صابر صبراً جميلاً.

أما القلب المكدوس في الدنيا وزخرفها فهو يعتصر ألماً عند المشكلات ويحترق غيظاً إذا ما أصابته مصيبة فيما يراه من مكتسباته مما أنفق فيه زهرة حياته ، فهو مصدوم مسلول الحركة تجاه مصائبـه وأزماته ، أو أنه متخطـط متـرد ثـائر تـائـه !

وفي الحديث لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم امرأة تبكي ابنها بكاءً شديداً وتصرخ قـال لها : "اتق الله واصبرـي .." إنما

وفي الحديث أيضاً "ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله به، إننا لله وإننا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي، واخلف لي خيراً منها، إلا أخلف الله له خيراً منها" أخرجه مسلم

الرؤية الصائبة للازمة عامل آخر مهم للغاية ومؤثر في صحة حلها أو مواجهتها، وصوابية الرؤية تؤدي إلى صوابية الحل، فكثير من الناس يصاب بتشویش الرؤية فلا يرى الأمور على حقيقها، وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في دعائه "اللهم أرني الحق حقاً وارزقني اتباعه وارني الباطل باطلاً وارزقني اجتنابه"

فانظر إلى الأزمة التي تمر بك من أعلىها لا من جانبها، فصفها لنفسك وصفها دقيقاً بغير تهويل ولا تهوي، واعرف أطرافها جيداً، والعوامل المؤثرة فيها، ومدى أثرها المتوقع عليك وعلى من حولك ولا تفتح لنفسك مجالاً لتدخل الرؤى بين ما يمر بك من مؤثرات أخرى وبين مشكلتك.

الجانب الأهم في المواقف الصعبة هو أن نواجه مشكلاتها ولا نهرب منها، وأقصد بمواجهتها وضعها على طاولة التفكير والنظر والبحث لدراستها دراسة جيدة، فالذين يهربون من مواجهة مشكلاتهم تظل مشكلاتهم وأزماتهم بغير حل أو انقضاء، بل إن بعضهم يظل قيد مشكلاته حتى بعدما تنقضي المشكلة.

والبعض يلحق به أذى مرضي سواءً أكان نفسياً أو عضوياً بسبب عدم مواجهة مشكلته أو الانزواء عنها أو الخوف من مواجهتها، فتجد كثيراً من أمراض الكتاب وكثرة النوم والانطواء سببه ضغط الأزمات وعدم الرغبة في مواجهتها.

وبدلاً من تضييع وقتك وجهدك تأسفاً على ما حدث لك، وسقوطك في التيه النفسي تقليباً في أحداث ما أصابك، فأولى لك أن تتفكر في أسباب ما حصل لك، فإن كان أمراً قدرياً ليس لك فيه دور فعليك بقبوله والصبر عليه، وسؤال الله التثبيت لنفسك وفإنما هو ابتلاء يبتلي الله سبحانه به عباده ووعليك أن تدرب نفسك على تقبيله.

ولن كانت أزمة ذات حنور فتتذرع في أسبابها، فالتفكير في الأسباب حزء من التفكير في الحل، والموفق من وفقه الله إلى مسببات الأشياء فتوكل على الله في الأخذ بأسبابها.

ومن الحكمة في مواجهة الأزمات أن تضع لها حلولاً مختلفة، وألا تقتصر على حل واحد، بل إن بدائل الحلول هي كلمة السر في حل الأزمات، وكلما كان البديل واقعياً وقريباً من الإمكانيات والقدرات كلما كان أقرب للتطبيق. ويجب أن تعلم نفسك أنك إذا اخترت حل بديلاً وبدأت فيه فِيَاكَ أن تتردد، بل سر فيه مادمت قد اتخذت خطواتك سليمة كما بینا لك . (من المهم دراسة مواقف النبوة في الاختيار والحزم عند القرار وعدم التردد بعد الوصول للحلول - موقفه في أحد كمثال)

و بعد تفنيد أسباب ما تواجهه ، ووصفه وصفا دقيقا بعيدا عن التوتر ، ووضع خيارات الحلول الذاتية ، جاء الدور على استشارة أهل الخبرة والعلم ، فاستشارتهم تضييف علما إلى علمنا وخبرة إلى خبرتنا في مواجهة الأزمة ، ثم علينا أن نضيف آراءهم وما تفضلوا به من اقتراحات ورؤى إلى ما سبقناهم فيه ثم نضع وصفا جديدا وصورة نهائية للازمة وحلها .

وتأتي استخارة الله العظيم سبحانه قبل الهموم والبدء بالعمل وبالحل لأمر أساسى ومبارك في حل الأزمة ومواجهتها ، بل أنها دائمًا أنظر إلى الاستخارة وكأنها بوصلة في الطريق توجهنا نحو هدف مرجو صحيح .

المصادر:

المسلم